العنوان: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد

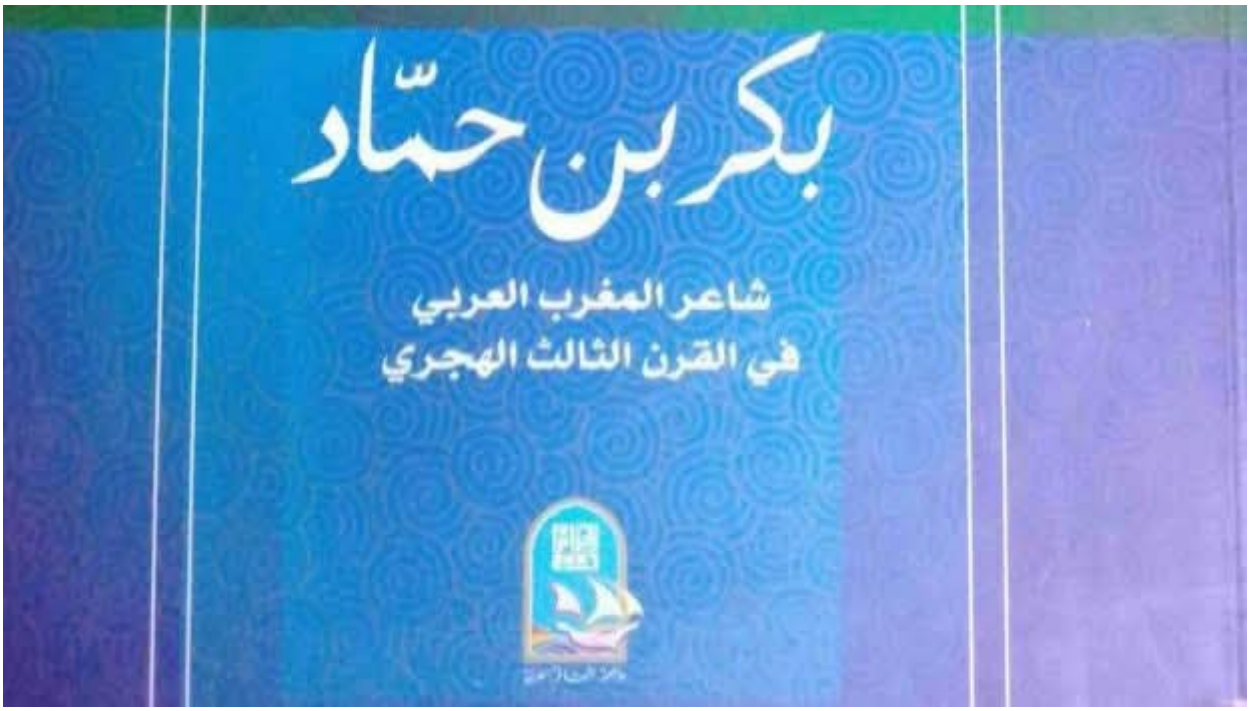

بكر بن حماد (200هـ، 296هـ) .

تقديم للدرس: يقول عثمان الكعاك " عن العلماء قد اعتنوا بالتنقيب عن اللغة العربية وتاريخها وتطوراتها في مختلف الأصقاع الإسلامية إلا الجزائر، فإنهم قد أغفلوها مع أنها قد أخرجت من الأدباء وعشاق البلاغة ورسل الفصاحة والبيان ما يكون لها بهم الفخر وما تسمو به مرتبتها في تاريخ الجزائر العربي العام" [1]

فهذا إقرار بعراقة الأدب الجزائري وقدمه، وبالحضور المتميز لأعلامه في الساحة الأدبية بخصوصية أدبهم وفرادته وكفايتهم وأبانوا لغيرهم مشرقا ومغربا عن واقع الأدب الجزائري، والأكيد أن الأدب الجزائري عاش ثنائية الإخفاق والإجادة كغيره من آداب الأمم الأخرى، ولا يخفى على القارئ أنه استفاد من الأدب المشرقي شكلا ومضمونا وتسربل بوشائج التأثير والتأثر فلاريب أن الشعر العربي حل هو الآخر ضيفا على أهل المغرب – التسمية المتداولة بين المؤرخين بخصوص هذه الفترة الزمنية- والذين أعجبوا به واستساغوه، لأنّه بعد الفتح الإسلاميّ حدث تغيير جذّري في حياتهم الثقافيّة، إذ تكيفوا مع الثقافة الوافدة عليهم واستهواهم شعرها، كما أنّه كان معينا في شرح القرآن والحديث النبوي فكان الجامع للغتها والمتضمن لمعانيها وألفاظها ومواضع استعمالها، ويتم تفسير

---

[1] - ينظر: عثمان الكعاك بلاغة العرب في الجزائر، نقلا عن كتاب رابح بونار: المغرب العربي: تاريخه وثقافته، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 05

النصوص الدينية من خلاله، ومن هذا المنطلق كان ضروريا لهم المعرفة بأشعار العرب، وحفظها حتى يتسنى لهم فهم النص الديني، ومع مرور الزمن تمكنوا من تذوقه، وتكونت لطائفة منهم ملكة قوله" [1]

ومع هذا فمن البديهي أن لا يظهر الشعر بالمنطقة بمجرد دخول العرب إليها لأنّ اللغة العربية لم تكن لغتهم، حيث احتاجت زمنا طويل لتستقر كلغة تواصل، ولا بد أنّهم وقعوا في مأزق تعلمها، كما أن الذين تعلموها كان من العسير عليهم أن يعبروا عن مشاعرهم وأهواءهم في قالب من الشعر العربي، وذلك لوعورة مسالكه.

ولا غرو أنّ لا نجد أثرا للحياة الشعرية خلال السنوات الأولى التي تلت الفتح الإسلامي والسبب في ذلك هو:

- ✓ انشغالهم بالحروب والمخاصمات والاضطرابات السياسية التي عرفتها هذه الفترة.
- ✓ وكذلك محاولة تثبيت أركان الدولة الإسلامية بالمنطقة.
- ✓ ولهذا فليس من التجني في شيء إذا قلنا بأن العلوم العربية التي بدأت في الانتشار هي العلوم الدينية،وأن الأدب لم يوله المغاربة اهتماما في البداية فمن البديهي أن لا نرى أدبا ولا أدباء، إلا ما كان من رجال الدين والفقه والدعاة الذين يفدون لتثقيف أهل البلاد، وإن كانوا أدباء فهم من العرب الداخلين.
- ✓ وإن مطالبتهم أن يكونوا شعراء في القرون الأولى يعدّ إجحافا في حقهم وحق الشعر العربي لأنّهم حديثي العهد بلغته ولم تترسخ فيهم ملكته بعد، فهو كان أخر ما جادت به القريحة المغربية، وقد انتشر فيها استنادا على حلقات العلم والتحفيظ من أجل اكتساب المعرفة في العلوم الدينية، فمن رحمها خرج الشعر ولم يكن في الأول إلا وسيلة للتعمق في فهم النص الدينيّ.
- ✓ ولئن لم يخامرنا الشك أن البدايات الأولى كانت متعثرة ومضطربة حيث جلسوا على مقاعد التلمذة وأخذوه من منبعه الأساسي، ولكنهم سرعان ما أخذوا أماكنهم كأنداد ومنافسين لهم.
- ✓ بعد أنّ تهيأت الظروف المواتية للشعراء شرعوا يقولون شعرا ذا خصائص فنية، ومميزات نابعة من رحم بيئتهم، ولقد وجدت الملكة الجزائرية أرضية خصبة تكونت من بعض الروافد ومنها:

- التأثر بالتراث الأدبي المشرقي.
- المساجد ودورها التعليمي.
- الرحلة إلى المشرق.
-المكتبات.

المراكز الثقافية المتنوعة (المحمدية، بجاية، طبنة).

---

[1] - ينظر: بختة عزوزي، الخطاب الشعري عند النقاد المغاربة من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2020 ، 2021، ص 28

وبهذا ظهر شعراء متميزين ومنهم بكر بن حماد التيهرتي.

1/ بطاقة قراءة عن الديوان:

اسم الديوان	الدر الوقاد في ديوان بكر بن حماد.
صاحب الشعر	بكر بن حماد التيهرتي.
جمع وتحقيق	محمد بمن رمضان شاوش.

وأما عدد الأبيات: " بلغت عدد الأبيات الشعرية المنسوبة إلى الشاعر عشرة أبيات بعد المئة وهي لا تمثل بطبيعة الحال مجموع التركة الشعرية لشاعرنا ولعل ما يؤكد ذلك العثور على أشعار أخرى تكمل بعض المقطوعات الواردة في مدونة الدر الوقاد.

2/ التعريف بالشاعر: هو أبو عبد الرحمن بن حماد بن سمر أو سهل ولد عام 200هـ بمدينة تيهرت وتعلم بها وتلقى دروسه الأولى على يد مشاهير علمائها وكبار محدثيها، قال عنه الزركلي في الأعلام" أديب من أدباء الدولة الرستمية توفي 296هـ شاعر عالم بالحديث ورجاله فقيه من أفاضل المغرب غادر مسقط رأسه بعد بلوغه السابعة عشر إلى القيروان والمشرق، ولقد اشتهر بالشعر والفصاحة والبيان فلم تكن مجالسه لتخلو من المناظرات العلمية في شتى صنوف العلم والأدب حتى عدّ رائد الشعر بالدولة الرستمية.

- إقامته في بلاط المعتصم ببغداد: بعد دخوله بغداد اتصل بالخليفة المعتصم بالله ومدحه بشعره فأكرمه الخليفة، وكان بينه وبين دعبل الخزاعي حوادث لما هجا الخليفة المعتصم رد عليه.

عاد إلى المغرب واستقر بمدينة القيروان إلى غاية 274هـ أين تصدر لإملاء الأدب والعلم ويشرح الحديث وعاد إلى مسقط رأسه بعد أن وشى به البعض لشعر قاله في إبراهيم بن الأغلب بصحبة ابنه عبد الرحمن، وعندما وصل إلى قلعة بني حماد على مشارف تيهرت تعرض لهما اللصوص فقتلوا ابنه." [1]

3/ الأغراض الشعرية: طرق شتى الأغراض الشعرية التقليدية من مدح، هجاء، رثاء، الوصف، والوعظ والزهد فالتكوين الديني المبكر للشاعر صقل شخصيته ومزاجه النفسي، ونأى عن الاستجابة لحديث النفس وعواطفها، فهيأت نفسه لهذا اللون الشعري بحكم ثقافته فأعرض عن مواضيع اللهو والمجون والشراب التي كان يموربها عصره والماثلة في الشعر العربي في كل أطواره، والظاهر أنه رغم تكوينه الديني إلا أنه كان هجاء سليط اللسان حيث يقول في هجاء ابن ملجم – قاتل علي كرم الله وجهه-:

قل لابن ملجم والأقدار غـــــــالبة هـــــدمت ويلك للإسلام أركانا

---

[1] - ينظر: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية بمستغانم، ط1، 1966، ص 44، 45، 46

قتلت أفضل من يمشي على قـــدم وأول الـــناس إيـــــمانا وإسلاما
وأعلم الناس بالقرآن ثم بـــــــما ســـــنّ الرسول لنا شرعا وتبيان
صهـــر النبي ومـــولاه وناصـره أضـحت منقـــــبه نوروبرهـــان
وكـــان منه على الرغم الحسود له مكان هرون من مـــوسى بن عمر انا
ذكرت قاتله والـــــدمع مـنحدر فقلـــت سبحان ربّ الناس سبحانا

ونجد غرض الوصف ماثلا في شعره من خلال وصفه للبرد في مدينة تيهرت حيث يقول:

ما أخشن البرد وريعانه وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تخت[1]
نحن في بحـــــــر بلا لجة تجري بنا الريح على السّمت
نفرح بالشّمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

وكما برع في غرض الرثاء و أبرز أشعاره في هذا الجانب ما قاله في رثاء ابنه عبد الرحمن حيث بكاه بحرقة في قصيدة تفيض حزنا وأسى:

بـكيت على الأحبة إذا تولوا ولو أني هلكت بكوا عليا.
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك كوى الأكباد كيا.
كفى حزنا بأنني منك خلوا و أنك ميـــــت وبقيت حيّا
ولم أك آيسا فيئست لما رميت التراب فوقك من يديا.
فليت الخلق طـــــاعوا وليـتك لم تك يا بكر شيا.
تسر بأشهر تمضي سراعا وتطوي في ليـــــاليهن طيا.
فلا تفرح بالدنيا ليس تبقى ولا تأســـــف عليها يا بنيا.
فقد قطع البقاء غروب شمس ومـــــطلعها علي يا أخيا

تطبيق: حلل قصيدة – بكيت على الأحبة- للشاعر تحليلا فنيا.

[1] - شرح المفردات: التخت: فارسي الأصل ويعني وعاء تصان فيه الثياب .اللّجة: معظم البحر، والمراد ب: بحر بلا لجة بحر هادئ وساكن.السمت: الطريق.